المؤرخ العربي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق

١٥

العدد الخامس عشر

مجلة

المؤرخ العربي

رئيس التحرير
الدكتور حسين أمين
الأمين العام
لاتحاد المؤرخين العرب

العدد الخامس عشر

١٩٨٠

مجلة تصدرها
الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب
بغداد - العراق

محتويات العدد الخامس عشر من المجلة

اللجنة الاستشارية

١ ـ **الدكتور حسين امين**/ الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب رئيس تحرير المجلـــة

٢ ـ **الدكتور مختار العبادي** / استاذ في قسم التاريخ ـ الاسكندرية

٣ ـ **الدكتور يوسف فضل** / مدير معهد الدراسات الافريقية ـ الخرطوم

٤ ـ **الدكتور عبدالامير محمد امين** / استاذ في قسم التاريخ ـ بغداد

٥ ـ **الدكتور محمد زنيبر** / رئيس قسم التاريخ ـ جامعة محمد الخامس

٦ ـ **الدكتور عبدالكريم غرايبة** / وكيل الجامعة الاردنية

٧ ـ **الدكتور عبدالقادر زبادية** / رئيس قسم التاريخ ـ جامعة الجزائر

٨ ـ **الاستاذ ابراهيم البغلي** / مدير الآثار والمتاحف ـ الكويت

٩ ـ **الاستاذ شايف عبده سعيد** / رئيس قسم التاريخ ـ جامعة عدن

١٠ ـ **الدكتور عبد المالك خلف التميمي** / قسم التاريخ ـ جامعة الكويت

١١ ـ **الاستاذ سالم الشيباني** / وكيل جامعة قاريونس ـ بنغازي

١٢ ـ **الدكتور عبدالله يونس الشبل** / امين عام جامعة الامام محمد بـن سعود الاسلامية ـ الرياض

السيد صباح غزال رحيم السامرائي / سكرتير التحرير الفني

السيد اسماعيل عبد العزيز البياتي / سكرتير التحرير الاداري

مقدّمة

ان الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب اذ تقدم بكل فخر واعتزاز للباحث العربي العدد الخامس عشر من مجلته العلمية ـ المؤرخ العربي ـ والتي تبرز المكانة الحضارية للمؤرخين العرب وقدرتهم الفائقة على منهجية البحث التي تتمثل فيه الروح الموضوعية واتباع أساليب علمية في الكتابة التاريخية نعاهدهم اننا سنعمل وبكل اخلاص وصدق وبعزيمة ثابتة على ازدهار الدراسات التاريخية وتوثيق الصلات المتينة بين المؤرخين والباحثين العرب كافة وتحقيق رسالتنا الانسانية النبيلة في الحفاظ على تراث امتنا الخالد وتاريخها المجيد •

تحية اجلال واكبار الى اخواننا وزملائنا المؤرخين والباحثين العرب أينما كانوا والى الاقلام الخيرة الصادقة التي تدعم مسيرتنا الثقافية وتسهم في اغناء مجلتنا بحوثهم العلمية القيمة •

والله نسأل ان يوفقنا لخدمة أمتنا الكريمة بما يحقق عزتها ورفعتها •

الدكتور حسين أمين
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

الدولة السامانية

الدكتور حسين امين
الامين العام لاتحاد المؤرخين العرب

هي من الدويلات التي استقلت من جسم الدولة العباسية ذاتيا ولعبت دورا مهما في تاريخ الحضارة الاسلامية ، وتنتسب هذه الدولة الى اسرة فارسية قديمة أصلها من بلخ ، ويدعى جدهم الاعلى سامان ابن خدات ، وقد أسلم في العهد الاموي على يد أسد بن عبد الله القسري ، والي خراسان ، ونال أحفاد سامان حظوة كبيرة من لدن الخليفة المأمون ، فتولى بعضهم وظائف سامية . فقد تولى نوح بن اسد ابن سامان مدينة سمرقند وأخوه أحمد على فرغانه وأخوه الثالث يحيى على مدينة الشاش والياس على هرات[1] ، وقد ورث احمد اخوته الذين توفوا فتولى أمر سمرقند وفرغانه والشاش وقسما من الصغد سنة ٢٤٤ هـ ــ ٨٥٥م وورثه ابنه نصر الذي اتخذ مدينة سمرقند حاضرة لدولته . وفي عهد نصر قويت الدولة السامانية وتمكن نصر من ضم بخارى وتولية اخيه اسماعيل عليها سنة ٢٦١ هـ ــ ٨٧٤م ، وفي السنة

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ٣ .

التالية حصل نصر على عهد من الخليفة العباسي المعتمـد بولاية ما وراء النهر بكامله .

ان تاريخ الدولة السامانية لم يخلو من نزاع بين افـراد العائلـة الحاكمة فقد جرى نزاع بين نصر وأخيه اسماعيل ، ولكنه كما يبدو كان نزاعا عائليا ، فقد ساءت العلاقة بين الاخوين وقصد نصر أخاه اسماعيل سنة ٢٧٢هـ ، ولكنهما تصالحا ، ثم ساءت العلاقة بينهما من جديد وقامت الحرب بينهما سنة ٢٧٥هـ وظهر اسماعيل باخيه نصر فلمـا حمل اليه ترجل له اسماعيل وقبل يديه ورده في موضعه الى سمرقند وناب عنـه في ولاية بخارى . ولما مات نصر سنة ٢٧٩ هـ (٢) أصبحـت الزعامة السياسية في الدولة السامانية لأخيه اسماعيل . وفي عهد اسماعيل تظهر الدولة السامانية دولة قوية تدحر الدولة الصفارية .

نجح اسماعيل من فتح طبرستان ، وتمكن من صد هجوم الاتراك الذين أغاروا على حدود بلاده الشرقية ومات اسماعيل في مدينة بخارى سنة ٢٩٥ هـ (٣) ، ولا يزال قبره حتى اليوم في مدينة بخارى . وبوفاة اسماعيل أمر الخليفة المكتفي ابنه ابا نصر أحمد بن اسماعيل على ولاية ابيه وخلع عليه . ولم تطل ولايته فقد قتل سنة ٣٠١هـ اذ هجـم عليه بعض غلمانه فذبحوه وهو على سريره وهربوا وحمل الى بخارى فدفن فيها ولقب بالشهيد (٤) . وكان قد خلف ولدا صغيرا يدعى ابو الحسن نصر بن احمد الساماني فاستصغر الناس سنه واستضعفوه ، واعتقـدوا

---

(٢) ــ ابن تغري بردى ــ النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٨٣ .

(٣) ابن الاثير ــ جـ ٦ ص ١١٧ .

(٤) ابن خلدون ــ تاريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٣٣٦ .

أن أمره لاينتظم مع وجود عم أبيه اسحاق بن احمد بن أسد صاحب سمرقند الذي استمال الناس في بلاد ما وراء النهر ــ عدا بخارى ــ اليه والى أولاده ، وأرسل بعض أمراء البيت الساماني الى الخليفة العباسي المقتد يسألوه أن يوليهم ناحية من نواحي خراسان ولكن الخليفة اقر نصرا على بلاد أبيه . وقد حاول اسحاق بن احمد بن أسد الساماني وابنه الياس بن اسحاق الثورة ضد نصر ولكن الهزيمة حلت بجيوشهما واستولى نصر على سمرقند، وقد حاول الياس بن اسحاق أن يعيد الكرة في القضاء على نصر ولكنه لم يفلح .

أما عن علاقة الدولة السامانية بمقام الخلافة العباسية فانها كانت تقوم على أساس المودة [٥]، وكان الخلفاء العباسيون يعتمدون على أمراء البيت الساماني في اقرار سلطانهم في بلاد المشرق .

وقد عرف ان نصر كان ميالا الى الاسماعيلية ، لذا فان قواد الدولة السامانية حاولوا قتله ، ولما علم نصر بذلك تنازل عن الامارة لابنه نوح، الذي حمل بشدة على الاسماعيلية ومن الجدير بالذكر أن المقريزي ذكر أن نصر بن أحمد الساماني بعث الى عبيد الله المهدي يعترف فيه بسلطته الروحية ويعد بامداده بالرجال .

وفي عهد نوح يبدأ الصراع بين السامانيين والبويهيين وقد تبادلا النصر والهزيمة ، وقد نجح نصر من ايقاع الهزيمة بالبويهيين والسيطرة على مدينة الرى . وتوفي نوح سنة ٣٤٣هـ [٦]، فتولى السلطة أخوه

---

(٥) آدم ميتز ــ الحضارة الاسلامية جـ ١ ص ٤٩ .

(٦) ابن الاثير جـ ٦ ص ٢٤٦ .

منصور بن نوح . وفي عصره بدأ الضعف يـــدب في جسم الدولـــة السامانية وفي عهده وقع الصلح بين البويهيين والسامانيـــين سنـــة ٣٦١هـ (٧) . وتزوج نوح بن منصور الساماني بابنـــة عضد الدولة . ولما مات منصور بن نوح تولى أمر السامانيين نوح الثـــاني بن منصور وأخذت الدولة تتداعى وتضمحل نتيجة النزاع المستمر بين افراد البيـــت الساماني وبسبب ظهور الدولة البويهية ، وقـــام بعض قواد الدولـــة بالاستيلاء على بعض البلدان . ومن الجدير بالذكر أن قيـــام الدولة الغزنوية كان عاملا من عوامل سقوط هذه الدولـــة ، كما ان خانـــات تركستان كانوا كثيرا ما يحاولون اقتطاع اجزاء من جسم الدولة . فقد هاجم ايلك (خان ما وراء النهر) مدينة بخارى في السنـــة التي تولى فيها محمود على خراسان سنة ٣٨٣ هـ (٨) وظفر بعبد الملك واسره بافكند الى أن مات بهـــا .

للدولة السامانية فضل كبير في نمو الادب كما انتعشـــت علوم الطب والفلك والفلسفة وقد ألفت فيها كتب كثيرة في اللغة العربية، ومن أشهر كتب هذا العصر في الطب الكتاب المنصوري الذي ألفه أبو بكـــر الرازي وأهداه الى أبي صالح منصور بن اسحاق الساماني الذي ولي سجستان نيابة عن السامانيين . وقد عاصر ابن سينا الفيلسوف المشهور بعضا من امراء السامانيين .

وجدير بالذكر أن السلاجقة الاتراك تأثروا بالسامانيين خاصـــة في مذهبهم الحنفي ، كما أن السلاجقة صـــاروا يتوسعون على حســـاب

---

(٧) النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٦٢ .

(٨) ابن الاثير جـ ٧ ص ١٦٠ .

دولتهم • كما أن آخر معقل للسامانيين سقط سنة ٩٩٩م وكان ذلك على يد الترك القرخانيين الذين دخلوا بخارى قاعدة السامانيين •

ان اقليم الصغد هو أهم المناطق التي شملتها دولـــة السامانيين ، ويعتبر من أخصب الاقاليم الواقعة بين نهري جيحون وسيحون الـــتي كانت تسقيها مياه نهرين ، هما زرفشان أي نهر السغد وعليه كانت تقوم مدينة بخاري وسمرقند والنهر المنساب حيال مدينتي كثرونسف وكـان هذان النهران ينتهيان الى مستنقعات أو بحيرات ضحلة في المفازة الغربية من جهة خوارزم • وكان الصغد يحسب احدى جنان الدنيـا الاربع ، وقد بلغ أوج ازدهاره في النصف الاخير من المئة الثالثة للهجرة في ايام الامراء السامانيين ، وكانت من أجمل مدنه سمرقند وبخارى ، ويمكـن أن يقال أن سمرقند كانت مركزه السياسي ، بينما كانت بخارى عاصمته الدينية ، وان كلا من المدينتين كانت في مرتبة واحدة وتعـدان قصبتي الصغد •

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ولمدينة بخارى سور وليس بالقرب منها وحولهـــا كثير من المدن والقصور والبساتين ، ولسور المدينة أبواب ، وهنـــاك خرائب بخارى القديمة التي كانت قائمة قبل الاسلام ويقال لتلك الخرائـــب (ريامين) وحافظت بخارى عن مكانتها الرفيعة في أوائل العصور الوسطى ولكن في سنة ٦١٧هـ ـ ١٢١٩م دخلها المغول ونهبوها ودمرت عن آخرها[٩]، وفي عهد تيمورلنك الذي اتخذ سمرقند عاصمة له استعادت بخارى شيئا من سابق عهدها •

وقد أنشأ اسماعيل الساماني في بخارى قصرا فخما كان قد انشيء

---

(٩) المرجع السابق ص ٣٣٠ ـ ٣٣٣ •

أصلا قبل الاسلام حتى جاء اسماعيل فقام بتوسيعه وزخرفته ليصبح بذلك مقرا للامير الحاكم وكبار رجال الدولة ، ثم أقام قصرا آخر على ضفاف القناة التي تعرف بهذا الاسم وقد صرف اسماعيل الاموال الطائلة على اظهاره بشكل يليق بمعظم الامراء ويشتهر هذا القصر بروعة بنائه ، وكانت تحيط به الحدائق والمروج وأحواض الزهر وفيها النافورات والغدران الجارية . كذلك مد اسماعيل أسوار المدينة وحصنها وكانت هذه قد بناها الحاكم ابو العباس الطوسي في عهد الخليفة المهدي العباسي ، ويقال أن عدد المدارس الجامعة ببخارى كان في عهد اسماعيل يزيد على نصائره في كل مدن آسيا ، حتى لترى مدينة بلخ والتي تعرف بقبة الاسلام لم تستطع أن تبرز لتنافسها الا بعد ذلك بكثير . وصارت هذه المدينة بخارى تزدهر ويعلو قدرها يوما بعد يوم بوصفها قصبة المال والعلم ومركز انتاج الحرير الذائع الصيت كذلك .

أما سمرقند فكانت في أعلى النهر (نهر السغد) على نحو ١٥٠ ميلا من شرق بخارى تقوم على مسافة قصيرة من ضفة نهر السغد الجنوبية على نشز من الارض وعلى المدينة سور حوله خندق عميق ولها قلعة مرتفعة عن الارض وفي أسفل المدينة قرب النهر رياض كثيرة تحف بها البساتين والاشجار ، وقل دار تخلو من بساتين ولا دار الا وفيها ماء حار الا القليل ، وتكثر في سمرقند اشجار السرو وفي القلعة دار الامارة والحبس وكان للقلعة باب من الحديد ، وتمتد أرياض المدينة بامتداد النهر في بسيط من الارض وعليها سور نصف دائري طوله فرسخان يحيط بهما من ناحية البر والنهر من ناحية الشمال احاطة القوس بالوتر ، فيتم بذلك خط دفاعها .

وكانت أسواق سمرقند مجمع التجارات زاخرة بالسلع الواردة

مركز تحقيقات كامپیوتری علوم اسلامی

اليها من جميع أنحاء العالم ومن جملة ماشتهرت به هذه المدينة (الكاغد) السمرقندي وهو يحمل منها الى بلاد الشرق وكانت صناعته قد دخلت اليها من الصين ، وقد خرب المغول مدينة سمرقند سنة٦١٧هـ ــ ١٢١٩م ولما زارها ابن بطوطة بعد ذلك قال انها مدينة لا سور لها ولا أبواب عليها ، وقد سمي نهرها نهر القصارين عليه النواعير (١٠) ، وكما قلنا سابقا أن تيمورلنك اتخذها عاصمة له فاستعادت مجدها الغابر فجدد المدينة وشيد المساجد والربط .

وقد برز في ظل الدولة السامانية كثير من العلماء والادباء ذلك لان امراء سامان كانوا يقربون العلماء ويعنون بالعلم وأهله فالفارابي محمد ابن طرخان ، الفيلسوف الاسلامي الكبير احتضنه منصور بن نوح الساماني وألف له بعض كتبه . ومن مؤلفاته كتاب مبادىء آراء أهل المدينة الفاضلة طبع في لندن سنة ١٨٩٥م وكتاب احصاء العلوم والتعريف باعراضها كما له تسعة كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى وتوفي الفارابي سنة ٣٣٩هـ (١١) . والعالم الكبير أبو بكر الرازي محمد بن زكريا الذي تولى رئاسة الاطباء ببغداد ، وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وامرائها وصنف بعض كتبه لهم ، ككتاب المنصوري الذي ألفه للامير منصور من آل سامان وكتاب الملوكي لعلي ابن صاحب طبرستان

---

(١٠) ابن بطوطة ــ الرحلة جـ ١ ص ٢٤٤ .

(١١) ابن خلكان ــ وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٧٦ .

طبقات الاطباء جـ ٢ ص ١٣٤ .

ومن اشهر كتبه في الطب كتاب الحاوي، وقد توفي الرازي سنة٣١١هـ، ٩٢٣م [١٢] .

ومن نزل مدينة بخارى من العلماء الاعـــلام الشيخ الفيلسوف الطبيب ابن سينا ابو علي الحسين بن عبد الله والذي يلقـــب بالشيخ الرئيس وكان ابوه من بلخ . وفي قرية من قرى بلخ ولـــد ابن سينا سنة ٣٧٠هـ وتعلم في مدينة بخارى علـــوم القرآن واللغة وقيل انـه حفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل أن يتجاوز العاشـــرة ، ولم يـدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب ، وكان يحي الليل في الدرس والبحث ، واخـذ في التأليف وهو فـي الحادية والعشرين من عمره ، ويمتاز ابن سينا بقوة جسمه وعقله، ويعتبر ابن سينا نادرة عصره فقد ألف في كل فن من العلم والادب ، من أشهـر كتبه كتاب (قوانين الرياضيات) ١٨ جزءا طبـــع منه جزءان وكتاب القانون في الطب في (٤) اجزاء طبع في روما وفي القاهرة وهو من اهم كتبه وحوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها وعلى هذا الكتاب وكتاب الحاوي لابي بكـــر الرازي اعتمد معظم أطباء العصور الوسطى في الشرق والغرب .

الدولة الغزنوية :

تعتبر هذه الدولة من الدويلات المهمة التي قامـــت في المشـرق الاسلامي ، قام بتأسيسها البتكين وهو من الموالي الاتـــراك في خدمة

---

(١٢) ابن النديم ـ الفهرست جـ ١ ص ٢٩٩ .
وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٧٨ .

الدولة السامانية ومن الذين توصل الى مراكز سامية في تلك الدولة ، فقد شغل منصب حاجب البلاط ، وكان أبوه يشغل منصب حاكم مدينة غزنة ، وتولى حكمها بعد وفاة والده سنة ٣٥٢هـ ، ولكن البتكين مات بعد سنة ولم يحقق أهدافه التوسعية . وسيطر على الامور مملوكه سبكتكين (زوج ابنته) وتمكن من توسيع املاكه بشكل كبير ، فسيطر على مدينة بست في سجستان كما نجح نجاحا باهرا في التوسع في الهند فقد هزم جيوش جيبال راجا لاهور وشتت جيوشه على حدود البنجاب ثم ما لبث أن أسر جيبال نفسه ، ثم أطلق سراحه بعد أن تعهد بدفع الجزية .

ومن الجدير بالذكر أن سبكتكين بالرغم من قوته وسعة نفوذه، فانه اعترف بسيادة الدولة السامانية ، وانه انما كان يفتح البلدان باسمهم ، وقد استعان نوح بن نصر الساماني بسبكتكين صاحب غزنة، على حرب (ابن علي بن سيمجور وفائق الخاصة) وكانا قد خرجا على الامير الساماني واستقلا في خراسان ، فانتصر سبكتكين عليهما ، واعاد مدينة نيسابور الى حظيرة السامانيين ، عندئذ عين الامير الساماني نوح ابن نصر ، محمود بن سبكتكين على مدينة نيسابور ولقبه سيف الدولة كما لقب سبكتكين بلقب ناصر الدولة ، وحكم سبكتكين عشرين سنة وكان قد وضع الاسس الرصينة للدولة الغزنوية وتوفي سنة ٣٨٧ هـ .

اذن فالدولة الغزنوية هي وريثة الدولة السامانية التي حكمت خراستان وسجستان وطبرستان والري وكرمان وما وراء النهر ، والتي جمعت في قيامها بين النزعة القومية في احياء التراث الفارسي وبعثه باللغة الفارسية وبين تمسكها بالاسلام في الدفاع عنه والقضاء على المناهضين ، وقد انتهى امر السامانيين الى ما انتهى اليه امر العباسيين من

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الاعتماد على الاتراك في امداد جيوشهم بالعناصر الجديدة ، وأصبح من السهل على الاتراك أن يتدرجوا في المراتب العليا للجيش الساماني وفي دواوين الادارة وقد استفحل خطر الاتراك وأصبح من المتعذر التخلص منهم ، فقد عين عبد الملك الاول بن نوح المملوك التركي البتكين قائدا عاما لخراسان بقصد اقصائه ولما تولى انسحب البتكين الى غزنة وأعلن نفسه ملكا عليها بعد انتصاره على أميرها المحلي ابي بكر لاديك ، فهب جيش منصور الساماني لقتاله ، واضطر منصور بعد هزيمة جيشه للمصالحة والاعتراف به حاكما لغزنة ، وتوفي البتكين وكان سبكتكين مملوكه المخلص وفيا لابنه اسحاق الذي عاجلته المنية ، وآنذاك اتفق جيشه على تولية سبكتكين الذي عرفه التاريخ مؤسسا للدولة الغزنوية .

تولى الامور في الدولة الغزنوية محمود الغزنوي (١٣) ، بعد أن نجح بابعاد أخيه اسماعيل الذي تولى الامور مدة سبعة أشهر بعد وفاة سبكتكين ، وقد غزا محمود الغزنوي بلاد الهند الوثنيين ، واستطاع السلطان محمود الغزنوي أن يبسط نفوذه الى ما وراء كشمير والبنجاب وأن يجعل من اقليم البنجاب ولاية اسلامية يحكمها ولاة مسلمون من قبل الدولة الغزنوية .

وكان محمود الغزنوي يعاصر الخليفة العباسي القادر بالله ، والذي أرسل الى السلطان محمود خلعة السلطنة ولقبه بيمين الدولة .

وكانت الدولة الغزنوية دولة اسلامية ، تخضع روحيا للخليفة

---

(١٣) ابن الاثير جـ ٧ ص ١٨٥ .

العباسي في بغداد وتقوم بفتوحاتها في الهند باسم الدعوة الاسلامية ، وكانت من الناحية الحضارية متأثرة بالحضارتين العربية والفارسية، ولم تكن اللغة التركية في عهدها لغة الدواوين والكتاب والشعراء ، اذ كانت اللغة العربية والفارسية تتبادلان القيام بهذه المهام •

وقصد محمود الغزنوي بلاد خراسان وسيطر عليها وأصبحت ضمن أملاكه الواسعة (١٤) • كما انتزع الرى من مجد الدولة البويهي سنة ٤٢٠ هـ(١٥) ، واقتاده الى عاصمته غزنة • وكان محمود قد حارب الغور وكانوا من الوثنيين ويسكنون المناطق الوعرة بين هراة وغزنة ، وكانوا أيضا مصدر قلق واضطراب في الديار الاسلامية الخاضعة للغزنويين ، وقد حاربهم محمود الغزنوي وطاردهم حتى أخضعهم وعمل على نشر الاسلام في صفوفهم •

ان فتوحات محمود الغزنوي في الهند مهمة من الناحية التاريخية لذا يجب الوقوف عندها والاطلاع على بعض نواحيها ، فالهند لم تكن غريبة على محمود فقد عرفها في حروب أبيه وأحاط بظروفها الطبيعية والجغرافية والبشرية ليسهل عليه أمر مواجهتها حين يتصدى لفتحها على أوسع نطاق بعد موت أبيه ، اذ قام بغزوها سبع عشرة مرة في مدى سبع وعشرين سنة امتدت بين سنة ٣٩١ و٤١٧ هـ وكان من نتيجتها أن خضع له شمال بلاد الهند من بنارس الى غزنة ومن الهملايا الى الدكن ، ففي طريقه اليها أول مرة بعد توليته استولى على سجستان سنة ٣٩٠هـ التي كانت لخلف بن أحمد ثم قصدها وواقع جيبال سنة ٣٩١هـ وبرغم

---

(١٤) المصدر السابق ص ١٩٦ •

(١٥) المصدر السابق ص ٢٣٥ •

قلة عدده وعدته فقد هزمه هزيمة منكرة وغنم منه غنائم كثيرة واسره مع جملة من أصحابه ، واثر هذا النصر الكبير لقب محمود بالغازي وفي سنة ٣٩٥هـ عاود الهند فاستولى على (بهاطية) ونشر الاسلام بين أهلها، ووافاه خبر خروج ابن الفتوح القرمطي صاحب الملتان (جنوب البنجاب) عليه وكرهه للاسلام فسار اليه ، وحين وجد صعوبة في اجتياز الانهار ولا سيما نهر سيحون طلب من (اندبال) ان يأذن له في العبور ببلاده الى الملتان فأبى فقرر مهاجمته فدخل بلاده وأعمل فيها الحرق والنهب والقتل ، واستمر يطارده حتى كشمير ، ثم هاجم ابا الفتوح ودخل بلاده وأخضع الملتان وضرب على أهلها عشرين ألف ألف درهم عقابا لهم، وعلم محمود ان ايلك خان امير كاشغر صهره هاجم بلاده فصالح الهنود وما زال يقاتل الترك ويتعقبهم حتى قضى عليهم ، واستنجد ايلك خان بقدرخان ملك الختن على محمود ، وحين سمع هذا وهو بطخارستان أسرع الى بلخ فحصل بالقرب منها صراع عنيف انهزم له ايلك خان شر هزيمة ، وعاد للهند يخضع نائبه (نواسه شاه) ابن جيبال الذي ارتد عن الاسلام وخرج عليه فلم يكتف عنه حتى افتدى نفسه بأربع مائة الف درهم وعقد داوود صاحب الملتان مع الامراء الهنود حلفا للخروج على طاعة محمود والقضاء عليه ، فالتحم الطرفان بارض البنجاب في معركة ضارية انتهت بانتصار محمود وانطلق الى حصن نكركت وهو على جبل عال كان قد اتخذ منه الهنود جيلا بعد جيل مخزنة للاموال والذخائر التي كانوا يتقربون بها الى صنمهم الاعظم ، فنازل حراسه وأجبرهم على الاستسلام وفتح باب الحصن لينقل ذخائره الكبيرة الى غزنة .

وهكذا استمر محمود الغزنوي كما ترون في غزواته المتكررة والمتعددة للهند . وفي احدى غزواته استولى محمود على صنم يدي (سومنات) الذي يرمز لعناد الهنود ووثنيتهم وحمله الى غزنة وعرضه

على المسلمين هناك وابتهجوا بذلك النصر الكبير ، وبعث اليه الخليفة العباسي القادر بالله رسالة اعترف له فيها بحكمه على خراسان والهندوستان وسجستان وخوارزم ولقبه كهف الدولة والاسلام ولقب ابنه مسعودا (شهاب الدولة وجمال الملة) وابنه الثاني محمدا (جلال الدولة وجمال الملة) والامير يوسف اخا محمود (عضد الدولة ومؤيد الملة) وتلقب محمود بلقب سلطان وهو أول من تلقب بهذا الاسم في الاسلام .

وقد اتصف محمود الغزنوي بقوة الشخصية وبرجاحة العقل وعمق الايمان بالعقيدة الاسلامية ، كما اتصف بحبه للعلم والعلماء والادب والادباء ، واجتذب الى بلاطه العلماء والشعراء ، وفي آخر أيامه كان في خدمته عالم عصره وأحد كبار العلماء في دنيا الاسلام ، أبو الريحان محمد البيروني الذي التحق به في غزنة سنة ٤٠٨ هـ ١٠١٧ م، وفي غزنة قام البيروني بعدة رحلات علمية في الديار الهندية التي فتحت على يد محمود الغزنوي وتعلم البيروني اللغة السنسكريتية على بعض العلماء الهنود ، وساعدت هذه اللغة البيروني على فتح مغاليق الثقافة الهندية الزاخرة بالعلوم والاداب والفلسفة ، وقد ألف البيروني كتابا عن الهند اسمه (تحقيق ما للهند) والذي يعتبر من أدق ما كتب في المشاهدات كما يعتبر نسيج وحده في الادب العربي ، وكان البيروني قد ألف قبل هذا كتابه الشهير (الآثار الباقية عن القرون الخالية) [١٦].

---

(١٦) ياقوت ــ ارشاد الاريب جـ٦ ص ٣٠٨ .
السيوطي ــ بغية الوعاة ص ٢٠ .

كما حفل بلاط محمود الغزنوي بالأديب الكبير والشاعر المبدع الفردوسي صاحب كتاب الشاهنامه ـ كتاب الملوك ـ الذي يمثل العبقرية العربية الفذة التي كان يتحلى بها الفردوسي وقد قدم هذا الكتاب الى محمود الغزنوي والكتاب يبحث عن الاساطير المتصلة بملوك الفرس وأبطالهم ، هذا ومن الجدير بالذكر أن الفردوسي قصد بغداد بعد أن انقلب على محمود الغزنوي ولجأ الى بهاء الدولة البويهي ونظم ملحمته الشعرية المشهورة (يوسف وزليخا) والتي كانت لا تقل عن الياذة هوميروس في طول نفس الشاعر كما تميزت هذه المحلمة بالرقة وحسن التصوير وان اعتبرها الادباء انها دون الشاهنامه في الجودة والمكانة. ومات الفردوسي سنة٤١١هـ ـ١٠٢٠م في بلدة طوس (١٧) .

وتوفي محمود الغزنوي بعد أن أصيب بمرض عاناه مدة سنتين لم يضطجع فيهما على فراش بل كان يتكيء جالسا حتى مات سنة ٤٢١هـ وهو كذلك ، وقبره لا يزال في غزنة .

وقبيل وفاة محمود الغزنوي أوصى بولاية العهد من بعده لولده محمد الذي كان ينوب عن والده بمدينة بلخ ، ولقبه جلال الدولة ، ولم يوص لمسعود ولده الاكبر ، وكان محمود قد مال عن ولده مسعود أثر وشاية دبرت ضد مسعود ، وكان هذا عند وفاة الوالده باصفهان (١٨) فسار الى خراسان وكتب الى أخيه يطلب منه اقراره على البلاد التي

---

(١٧) الفردوسي ، هو ابو القاسم الفردوسي توفي سنة ٤١١ هـ . راجع كتاب جهار مقالة ترجمة عزام . وكتاب الشاهنامة ترجمة عزام أيضا .

(١٨) البيهقي ـ تاريخ البيهقي ص ١٢ .

كان قد فتحها ، ولكن محمدا لم يلب طلب أخيه ، كما قلنا أن مسعودا كان أكبر سنا من محمد وأكثر شجاعة واقداما ، وهذه كانت من العوامل التي ساعدت مسعودا على الوصول الى عرش الغزنويين ، فقد ثار الجند ضد محمد ونودي بمسعود سلطانا للدولة الغزنوية ، فلقبه الخليفة القادر بالله بلقب ناصر دين الله وحافظ عباد الله وظهير خليفة الله ، وسيد ملوك السلاطين .

وعظم سلطان مسعود حتى اجتمع له ملك خراسان وغزنة والري وأصبهان وبلاد الجبل وفتح قلاعا في الهند كانت ممتنعة على أبيه ، وفي عصره ظهرت قوة السلاجقة وقد نجحوا في دخول هراة سنة ٤٢٢هـ وبدأوا بالاغارة على خراسان وقد نجح مسعود في كسب انتصار عليهم سنة ٤٢٦ هـ ، ولما كان مسعود مشغولا في فتوحاته في الهند ، فان هذا مما ساعد السلاجقة على التجمع والاستعداد والهجوم على القوات الغزنوية ، فاستولوا على مرو ونيسابور وسرخس سنة ٤٢٩ هـ، فاضطر مسعود على قتالهم فانتصر انتصارا أوليا سنة ٤٣٠ هـ ، ولكنه انهزم امام السلاجقة هزيمة منكرة سنة ٤٣١هـ [١٩] ، وبعد هذه الهزيمة فكر في اللجوء الى الهند لجمع جيوش جديدة والقيام بهجوم شديد على القوات السلجوقية ، وأخذ معه الى الهند أخاه محمدا الذي كان من قبل سلطانا، فلما عبر نهر سيحون ائتمر به بعض عسكره واكرهوا اخاه على موافقتهم واعتقلوه في قلعة كيكي [٢٠] ثم قتلوه سنة ٤٣٢ هـ .

---

(١٩) الراوندي ـ راحة الصدور ص ١٦٣ .

(٢٠) ابن الاثير جـ ٨ ص ٢٦ .

وتولى امور الغزنويين السلطان مودود بن مسعود الذي حارب عمه محمد وانتصر عليه ودخل غزنة وقتل جميع أولاد عمه محمد عدا واحدا (عبد الرحيم وذلك لعدم رضاه لمقتل عمه) وقد بدت في الأفق خصومة بين مودود وأخيه مجدود الذي كان واليا على اقليم البنجاب ، الذي أعلن استقلاله بلاهور والملتان وقد تجهز مجدود من اجل احتلال غزنة ولكنه مات بلاهور سنة ٤٣٢ هـ [٢١] . وفي عهد مودود كان السلاجقة قد ازداد خطرهم على مر الايام وانتصر الب ارسلان بن داوود السلجوقي على جيش مودود الغزنوي ، ومن الجدير بالذكر ان مودود هذا تمكن من احراز انتصار على الغزبنواص بست وفي سنة ٤٤١ هـ كان يتأهب لمعركة جديدة مع السلاجقة ولكن المنية عاجلته في غزنة وله من العمر تسعة وعشرون سنة [٢٢] .

وتولى حكم الغزنويين ولده مسعود الثاني ولكن سرعان ما سيطر على السلطنة عمه علي بن مسعود الاول وانتهز الفرصة عبد الرشيد بن محمود الغزنوي ودعا الجند الى طاعته وتأييده فسار الى غزنة وانهزم منها علي بن مسعود فدخل المدينة عبد الرشيد ونصب نفسه سلطانا وتلقب بعز الدولة وشمس دين الله .

وفي تلك الفترة عاشت الدولة الغزنوية فترة من الاضطرابات والقلاقل وسارت نحو الاضمحلال وبدأت في الظهور دولة جديدة اتسعت على حساب الدولة الغزنوية، تلك الدولة هي الدولة السلجوقية.

---

(٢١) المرجع السابق ص ٢٨ .
(٢٢) المرجع السابق ص ٥٢ .